المبحث الحادي والثلاثون: مصيبة المسلمين بموته

من المعلوم يقيناً أن محبة النبي محبة كاملة من أعظم درجات الإيمان الصادق؛ ولهذا قال : «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده, ووالده, والناس أجمعين**»[1].

فإذا فقد الإنسان أهله, أو والده, أو ولده, لا شك أن هذه مصيبة عظيمة من مصائب الدنيا, فكيف إذا فقدهم كلهم جميعاً في وقت واحد؟

ولا شك أن مصيبة موت النبي أعظم المصائب على المسلمين؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك, فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فتح رسول الله باباً بينه وبين الناس, أو كشف ستراً فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر, فحمد الله على ما رآه من حسن حالهم, ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم, فقال: «**يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة**

---

[1] () البخاري مع الفتح 1/58 برقم 5, ومسلم 1/67، برقم 44 .

التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أمتي لن يُصاب بمصيبة أشدّ عليه من مُصيبتي»[1].

وعن أنس قال: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله المدينة أضاء منها كل شيء[2], فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء, وما نفضنا عن رسول الله الأيدي[3] وإنا لفي دفنه[4] حتى أنكرنا[5] قلوبنا)[6].

---

1 () أخرجه ابن ماجه برقم 1599, وغيره وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه 1/267, والأحاديث الصحيحة برقم 1106, وانظر: البداية والنهاية 5/276.

2 () أضاء منها كل شيء: أشرق من المدينة كل شيء. انظر: تحفة الأحوذي 10/87.

3 () وما نفضنا: من النفض: وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما. انظر تحفة الأحوذي 10/88.

4 () وإنا لفي دفنه: أي مشغولون بدفنه بعد. انظر: تحفة الحوذي 10/88.

5 () حتى أنكرنا قلوبنا: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول من التأييد والتعليم, ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليم من التصديق؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إيماناً وتصديقاً. انظر: تحفة الحوذي 10/88.

6 () أبو داود، برقم 864، 866, وأحمد 3/68, برقم 6483، ورقم 26684، وابن ماجه برقم 1631, وقال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده صحيح على شرط الصحيحين 5/274, وانظر: صحيح ابن ماجه 1/273.

وعن أنس قال: قال أبو بكر – بعد وفاة رسول الله – لعمر: انطلق بنا إلى أُمِّ أيمن نزورها كما كان رسول الله يزورها، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله .
قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله , ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء, فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[7].

وما أحسن ما قال القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلد — واعلم بأن المرء غير مخلد
فإذا ذكرت مصيبة تسلو بها — فاذكر مصابك بالنبي محمد

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستفادة هذا المبحث كثيرة, ومنها:

1ـ موت النبي أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون.

2ـ إنكار الصحابة قلوبهم بعد موت النبي ؛ لفراقهم نزول الوحي وانقطاعه من السماء.

---

7 () مسلم برقم 2454, وابن ماجه برقم 1635, واللفظ من المصدرين. وانظر: شرحه في شرح النووي 16/242.

3ـ النبي أحب إلى المسلمين من النفس, والولد, والوالد, والناس أجمعين, وقد ظهر ذلك عند موته بين القريب والبعيد من أصحاب النبي , بل وجميع المسلمين.

4ـ محبة الصحابة للاقتداء والتأسي برسول الله في كل شيء من أمور الدين حتى في زيارة النساء كبار السن, كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.